بما يعقلونه واكبر ما في نفوسهم مقدار السموات والارض قاله الزجاج
وهو اختيار ابن عباس وقال طارق ابن شهاب قال قوم من اهل
الحيرة لعمر رضي الله عنه ارايت قول الله عز وجل عرضها كعرض السما
فاين النار فقال لهم عمر ارايتم الليل اذا ولى وجا النهار فاين يكون
الليل فقالوا لقد برعت بما في التورية مثله قوله اعدت للذين
امنوا بالله ورسله شرط الايمان لا غير والمعتزلة وان زعموا ان لفظ
الايمان يفيد جملة الطاعات لكنهم اعترفوا بان لفظ الايمان بتغير
جملة الطاعات لكنهم اعترفوا اذا عدي بالبا فانه باق على مفهومه الاصلي
وهو التصديق فالاية حجة عليهم وقرا ابو بكر ذلك قوله تعالى بعده ذلك
فضل الله يوتيه من يشا سوا اطاع ام عصى فان قيل فيلزمكم ان تقطعوا
بحصول الجنة لجميع العصاة وان تقطعوا بانه لا عقاب لهم قلنا الجواب
انا نقطع بحصول الجنة ولا نقطع بنفي العقاب عنهم لانهم اذا عذبوا
مدة ثم نقلوا الى الجنة وبقوا فيها ابدا الاباد فقد كانت الجنة معدة
لهم فان قيل فالمرتد قد امن بالله فوجب ان لا يدخل تحت هذه الاية
قلنا خص من العموم فبقي العموم حجة فيما عداه فصل احتجوا
بهذه الاية على ان الجنة مخلوقة قالت المعتزلة هذه الاية لا يمكن
اجراوها على ظاهرها لوجهين الاول ان قوله تعالى اكلها دائم وظلها يدل
على ان من صفتها بعد وجودها ان لا تفنى لكنها لو كانت الان موجودة
لفنيت بدليل قوله تعالى كل شي هالك الا وجهه الثاني ان المخلوقة
الان في السما السابعة ولا يجوز اذا كانت في واحدة منها ان يكون عرضها
كعرض كل السموات والارض فثبت بهذين الوجهين انه لا بد من التاويل
فذلك من وجهين احدهما انه تعالى لما كان قادرا لا يصح المنع عليه واذا
كان حكيما لا يصح الخلف في وعده ثم انه تعالى وعد على الطاعة بالجنة
فكانت الجنة كالمعدة المهياة لهم تشبيها لما سيقع قطعا بالواقع
كما يقول المرء لصاحبه اعدت لك المكافاة اذا عزم عليها وان لم يوجد
والثاني ان المراد اذا كانت الاخرة اعدها الله لهم كقوله ونادى اصحاب
النار اصحاب الجنة اي اذا كان يوم القيمة نادى والجواب ان قوله كل
شي هالك عام وقوله اعدت للمتقين مع قوله اكلها دايم خاص والخاص
مقدم على العام واما قولهم ان الجنة مخلوقة في السما السابعة كما قال
عليه الصلوة والسلام في صفة الجنة سقفها عرش الرحمن فاي استبعاد
في ان يكون المخلوق فوق الشي اعظم منه اليس ان العرش اعظم المخلوقات
مع انه مخلوق فوق السما السابعة قوله ذلك فضل الله يوتيه من
يشا اي ان الجنة لا تنال الا بفضل الله ورحمته والله ذو الفضل العظيم
قوله من مصيبة فاعل اصاب ومن مزيده لوجود الشرطين وذكر فعلها
لان التانيث مجازي قوله في الارض يجوز ان يتعلق باصاب وان
يتعلق بنفس مصيبة وان يتعلق بمحذوف على انه صفة لمصيبة وعلى
هذا فيصلح ان يحكم على موضعه بالجر نظرا الى لفظ موصوفه وبالرفع نظرا
الى محله اذ هو فاعل والمصيبة غلبت في الشر وقيل المراد بها جميع الحوادث
من خير وشر وعلى الاول يقال لماذا ذكرت دون الخير واجيب بانه انما
خصها بالذكر لانها اهم على البشر قوله الا في كتاب حال من مصيبة
وجاز ذلك وان كانت نكرة لتخصصها اما بالعمل او بالصفة اي الا
مكتوبة قوله من قبل نعت لكتاب ويجوز ان يتعلق به قال ابو البقا
لانه هنا اسم للمكتوب وليس بمصدر والضمير في نبراها الظاهر عوده

على

٣٧

على المصيبة وقيل على الانفس وقيل على الارض اي على جميع ذلك قاله
المهدوي وهو حسن فصل قال الزجاج انه تعالى لما قال
سابقوا الى مغفرة وبين ان المودي الى الجنة والنار لا يكون الا بقضا وقدر
فقال ما اصاب من مصيبة والمعنى لا توجد مصيبة من هذه المصايب
الا وهي مكتوبة عند الله والمصيبة في الارض قحط المطر وقلة النبات
ونقص الثمار وغلا الاسعار وتتابع الجوايح واما المصيبة في الانفس
فقيل هي الامراض والفقر وذهاب الاولاد واقامة الحدود عليهم
وقيل ضيق المعاش وقيل الخير والشر اجمع لقوله بعد ذلك لكيلا تاسوا
على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم وقوله الا في كتاب يعني مكتوب عند
الله في اللوح المحفوظ وقوله من قبل ان نبراها قال ابن عباس من قبل
ان نخلق المصيبة وقال سعيد بن جبير من قبل ان نخلق الارض
والنفس ان ذلك على الله يسير اي خلق ذلك وحفظه على الله يسير اي
هين قال الربيع بن صالح لما اخذ سعيد بن جبير رضي الله عنه بكيت
قلت ابكي لما ارى بك ولما تذهب اليه قال فلا تبك فانه كان في علم الله
تعالى ان يكون الم تسمع قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في
انفسكم الاية قال ابن عباس لما خلق الله القلم قال له اكتب فكتب
ما هو كاين الى يوم القيمة وقد ترك جماعة من السلف الدوا في امراضهم
فلم يستعملوه ثقة بربهم وتوكلا عليه وقالوا قد علم الله ايام المرض
وايام الصحة فلو حرص الخلق على تقليل ذلك او زيادته ما قدروا
قال الله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الاية ويويد
هذا قوله عليه الصلاة والسلام من عرف سر الله في القدر هانت عليه
المصايب فصل قيل ان هذه الاية متصلة بما قبلها وهو
ان الله تعالى يهون عليهم ما يصيبهم في الجهاد من قتل وجرح وبين ان ما
يخلفهم عن الجهاد من المحافظة على الاموال وما يقع فيها من خسران
فالكل مكتوب مقدر لا مدفع له وانما على المرء امتثال الامر ثم ادبهم
فقال لكيلا تاسوا على ما فاتكم اي لا تحزنوا على ما فاتكم من الرزق وذلك
انهم اذا علموا ان الرزق قد فرغ منه لم ياسوا على ما فاتهم منه وعن
ابن مسعود رضي الله عنه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجد
احدكم طعم الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه
لم يكن ليصيبه ثم قرا لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم
من الدنيا قاله ابن عباس فصل قال ابن الخطيب هذه
الاية تدل على ان جميع الحوادث الارضية قبل دخولها في الوجود مكتوبة
في اللوح المحفوظ قال المتكلمون وانما كتب ذلك لوجوه احدها ليستدل
الملايكة على كونه تعالى عالما بجميع الاشيا قبل وقوعها وثانيها ليعرفوا
جلالة انه تعالى مع علمه بانهم يقدمون على المعاصي خلقهم ورزقهم
وثالثها ليشكروا الله تعالى على توفيقه اياهم للطاعات وعصمته
اياهم عن المعاصي فصل قال ابن الخطيب ان الحكما قالوا ان
الملايكة الذين وصفهم الله بانهم هم المدبرات امرا والمقسمات امرا
انما هي للبادي لحدوث الحوادث في العالم السفلي بواسطة الحركات
الفلكية والاتصالات الكوكبية وتغير اقاصي الاسباب لتلك
المسببات وهذا هو المراد من قوله الا في كتاب فصل
قوله تعالى ولا في انفسكم يتناول جميع مصايب الانفس فيدخل فيها
كفرهم ومعاصيهم فالاية دالة على ان جميع اعمالهم بتفاصيلها مكتوبة

King Saud University
Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)